

أهل الشام صنعاء القصبة وتقول العرب لا بد من صنعاء لو طال السفر وينسب إلى صنعاء صنعاني وعُلى كل واد من هذه الأودية ما لا يوقف عليه من القرى الصغار والأبيات وكل واد منها بخلاف يكون فيه سلطان يقوم به عوائده.

قال الأصمعي اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم ينتوي عني بحر العرب إلى عدن إلى الشحر حتى يجتاز عمان فيقطع من بينونة وبينونة بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمن قال ياقوت وقيل حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضر موت والشحر وعلان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهام والنجود واليمن تجمع ذلك كله.

والمب في قسمة اليمن إلى مخاليف أي كور ورسايق ما قاله ياقوت من أن وند قحطان لما اتخذوا أرض اليمن مسكناً وكثروا فيها لم يسعهم المقام في موضع واحد فجنعوا رأيهم عني أن يسروا في نواحي اليمن ليختار كل بني أب موضعاً يعرونه ويسكنونه وكانوا إذا ساروا إلى ناحية اختارها بعضهم تخلف بها عن سائر القبائل وسماها باسم أبي تلك القبيلة المتخلفة فيه فسوها مخلاًف تخلف بعضهم عن بعض فيها ألا تراهم سوها مخلاًف زبيد ومخلاًف سحان ومخلاًف همدان لا بد من إضافته إلى قبيلة.

بعض معاهد بيروت

الصحافة البيروتية

سبقت بيروت غيرها من مدمن الشام بإصدار الجرائد ففيها صدرت سنة ١٨٥٨م أول صحيفة عربية في هذه الديار باسم حديقة الأخبار ثم صدرت جرائد ومجلات أخرى عني عهد السلطان عبد العزيز وأوائل عهد السلطان عبد الحميد المخنوع ومنه ما كتبه الأكفاء أمثال البستاني والأحدب وبوست وصروف ونمر واليازجي والخوراني

وغيرهم. ولما قويت شأفة المراقبة على المطبوعات ولاسيما في الثلث الأخير من عهد المخلوع تراجعت الصحافة البيروتية وكان بعضها قد أقفل وبعضها نقل إلى قطر آخر وبعضها ثبت ولكن على مضدد وضعف لا يكاد يوصف.

حتى إذا انتشرت الحرية كثرت الصحافة حتى بلغ ما صدر منها مجلداً ٥٦ جريدة ومجلة أكثر من نصفها لم يزل ينشر وبها بلغ عدد الجرائد البيروتية ٢٥ جريدة ومنها ثلثي ويومية والباقيات أسبوعية ونصف أسبوعيات وبلغ عدد المجلات ١٢ مجلة حية وهو عدد كثير على سكان مدينة لا يتجاوزون المئة وخمسين ألفاً على حين لا يصدر في جميع بلاد الشام وبيروت في المجلة أكثر من مئة صحيفة بين يومية وأسبوعية ومجلة شهرية ونصف شهرية أو مرة في الشهرين على اختلاف الترعات ومنها الجدي الخباري ومنها الفكاهي المزلي.

إن هذه المهنة التي تبدت مظاهرها من أدباء بيروت ولبنان حرية بالثناء لو لاحظوا في نشر صحفهم حاجة البلاد أولاً ثم نظروا في أنفسهم وحكموا عليها أو لها من حيث الكفاءة والاستعداد بيد أنه لم تقص بضعة أشهر على نشر القانون الأساسي وقد بردت حماسة القوم للحرية وانتشأت صورة الغضب من أنصار الظلم والاستبداد حتى أذخ الزمان محص الصحف فيشعر بعض من قبحوا عليها على غير استعداد مادي وأدبي أنهم كانوا في غرور بأقدامهم على بث أفكارهم على رؤوس الأشهاد واقتحامهم المنافسة مع الأكفاء بحث أضروا بهم وبأنفسهم معاً وستدعو الحاجة بعد إلى تراجع بعض هذه الصحف فيبقى منها الأصلح بحسب سنة الكون في الأعمال.

نقول الحاجة لأن قراء الصحف في سورية محدود عددهم وقد أصبحوا يجهون ليشاركوا

حتى اضطر كثير من أرباب المظاهر أن يتناولوا عَنَى الرغم منهم عدة صحف في آن واحد ومعظمها متحد الرعة والمعنى تكفي منها الواحدة والشتان وما زاد عن ذلك فضول وإضاعة وقت. ووطد معظم المشتركين أنفسهم عَنَى قطع اشتراكهم السنة بعد الأخرى فكان الوارد عَنَى إرادات الصحف لا يسد نفقات الطبع ويعول القاشين بها في الجسنة فاضطرت إلى الاقتصاد غير المأمود حتى أصبحت لفترة في أجرة المترجم والمراسل وأثمان البرقيات وغيرها قصارى أكثرها أن تجيد النقل والاقتباس وتنفق مما حضر لديها من الأخبار أفاد القراء أو لم يقدمهم خدم البلاد أو أضرباً بها.

إن صدور ثنائي صحف يومية في ثغر صغير كبيروت دليل الإقدام وهذا العدد لا يصدر مثله من بلاد العرب إلا في مدينة القاهرة ولكن أين مكانة تلك العاصمة من بيروت وهل في مكانة بيروت أن يكون لها قراء كالمصريين استنارة عقولهم وكثرة غنائم وتشاجر الأغراض السياسية في بلادهم. ولولا أن معظم الجرائد الكبرى في نصر أصبحت تصدرها شركات وجمعيات كنا هي الحال في الغرب لما عاش أكثرها ولما استطاع القسم الآخر أن يظهر بهذا المظهر من القوة والغناء.

ومن أجل هذا فكر بعض أرباب الصحف اليومية هنا أن يتحدوا ويصدروا جريدة واحدة كبرى عَنَى مثال الصحف الرسمية الراقية وفيها ما في تلك من إمارات التحسين والفائدة ولو وفقوا لإتمام هذا المشروع الجليل ونجحوا فيه لخدموا البلاد خدمة تؤثر ووفروا من عنائهم وعناء القراء الفقراء وزاد مع الأيام ربحهم واثبتوا لأهل الشام أن بعض قادة الأفكار من دعاة الاتحاد والوئام عنوا الناس بالمثل الحي أن صحافتهم ثرت عَنَى أقدام صحافة الغرب وأن ما يعجز الأفراد عَنَى الاضطلاع به لم يعجز الجماعة.

ومنى تمت هذه المهمة في الصحف السياسية يسهل تقيدتها في الجلات العنية فتدخل مطبوعاتنا في دور جديد يصح أن ينحق بالراقي من مطبوعات الأوربيين والأميركيين. إن بيروت التي اعتادت أن تصرف جرائدها في أقطار الشام لا تبت إذا كانت لها صحافة راقية أن يقبل الناس عليها في جميع بلاد القطر وإلا فتظل كل ولاية بل كل لواء بل كل قضاء مكتفية بصحفتها كنا هو المشهد الآن في القدس ويافا وحيفا وعيدا وبعيدا وعالية وحزين وطرابلس واللاذقية وحنبل وحماة وحمص ومرج عيون والقيطرة وزحنة ودمشق فتكاد لا تبع فيها الصحف الراقية إلا أعداداً معينة سيتناقص عددها مع الزمن وصدور الأحسن فالأحسن.

ولا مشاحة في أن الصحافة مثال من أمثلة ارتقاء الأمة والمخاطبة وإن صحافتنا يجب أن تقود إليها الناس بالحق والصدق لا أن تنقاد إلى أهواء الناس والعامه منهم الخاصة فإن بعض الصحف جارت العامة مثلاً على ما يريدون في نقل أخبار هذه الحرب الناشئة الآن في طرابلس الغرب بين العثمانيين والإيطاليين فراجت بعض الشيء ولكن هذه المهمة لا تدل على ارتقاء في العقول ولا على إقبال حقيقي وكان أولى أن تنقل لنقوم الأنباء بدون زيادة ولا نقص مع مراعاة السياسة المتبعة من تقوية القنوب والتفاؤل بالخير للمستقبل فإن من أبيض المظاهر أن يستيع العامة الخاصة وما طرأ الفساد على أحوالنا الدينية والدنيوية إلا بخارة الخواص لنعوام في أمور كثيرة.

وأي ارتقاء الآن والأمة نراها تقبل على الصحف الهزلية أكثر من إقبالها على الصحف الجدية وإن كان من جرائد الهزل ما هو مستوى النفس وأحماض القلب ولكن كثرة الإقبال عليها أكبر دليل على أن الأمة أميل إلى الخيال منها إلى الحقائق وأنها أمة كسل لا أمة عمل.

هذا والجرائد بيوت الفضل الأكبر في بث منكة المطالعة في الناس وتعويدهم الفصح من الكلام والصحيح من الآراء ولذلك تجد مجموع البيروتين أرقى من مجمع غيرهم من سكان قواعد هذه الديار لكثرة توفر عامتهم وخاصتهم على مطالعة الجرائد والانتفاع بما تنشره من طريف المعارف والمبادئ والتكرار يؤثر في الأحجار وربك يفعل ما يشاء ويختار.

مدرستان إسلاميتان

إذا كانت بيروت تعد أكبر معاهدها العلمية المسيحية كلية الأميركان وكلية اليسوعيين فإن من الواجب أن تعد أكبر المدارس الإسلامية فيها الكلية العشانية الإسلامية ودار العلوم والميزة بين المعهدين الأولين والمعهدين الآخرين أن الغرض في الأولين خدمة فكر خاص أقل ما يقال فيه تزويد نفوس أكثر المتخرجين منها في خدمة بلادهم وإضعاف الشعور الوطني أما الحالة في المدرستين التاجحتين فهي على خلاف ذلك تنمي العاطفة الوطنية وتحيي رجلاً يقون في بلادهم يخدمونها بما تصل إليهم طاقتهم. وهذا من أعظم ما تمجد عليه المدرستان الإسلاميتان.

نشأت الكلية العشانية منذ سبع عشرة سنة همة رجل أزهرى لقي الأمرين في سبيل مشروعه وقاومه أعداء الإصلاح والتجديد وأنصار المنافسة والحسد ما وسعتهم المقاومة فكان بثباته معلناً للمعنيين كيف يكون الصبر غنى ما أخذوا النفس به. ولا عجب فصير المعنيين يجب أن يتعنوه من سيرة الأنبياء والمرسلين خصوصاً والمعنون لا يخرجون عن كونهم مبشرين ومنذرين ولكن يوحى غيرهم وسيرة من تبعوهم من الحكماء والأنبياء.

هذا الأزهرى هو الشيخ هو الشيخ أحمد عباس أحد أساتذة بيروت ورئيس هذا المعهد النافع قام بقوته إلا ما كان من معاضدة بعض المستيرين في هذا الثغر لعنده وخصوصاً من تألفت منهم عمدة المدرسة مؤخراً من رجال بيروت وبعض قادة الأفكار فيها فوفق حتى اليوم إلى تخريج زمرة من الشبان المنورين ومنهم التاجر والصحافي والطبيب والحقوقي وقد كان في كل دوار مدرسته يستعين بالأساتذة الأكفاء من أي مذهب كانوا يعلم تلامذته بذلك التسامح اخنود والأخذ عن المخالف فيما لا يخدم رأيه ومبدأه.

زرنا مدرسته وقد زرتها عدة مرات في الأعوام الماضية فشهدنا النضوج أخذاً بتعاليمها والكمال قريباً منها والثبات متمثلاً في أرجائها والعناية بتربية جسم الطفل وعقده غايتها فهي في أجمل بقعة وأعلاها من أحياء بيروت (برج أبو حيدر) تطل على لبنان وقراه وبيروت وحدائقها الغناء لو تم لها ما يريد لها أحبها أن تمتدك البنايات التي قامت فيها وأوى إليها أساتذتها لكانت كاملة في مادياتها كنا كنت أو كادت بمعوياتها.

نعم لو كانت لها دار قوراء وقصور تزوي الداخنيين والخارجيين من تلامذتها لبلغ تلاميذها ضعف ما هم الآن (٣٧٠) منهم (١٤٠) داخياً من أبناء بيروت وأنحاء سورية وغيرهم ولكن المسكين ليسوا من القوة على الأعمال بحيث يهتسون لمشروعاتهم العناية اهتمام الغربيين لها وليس الفقر وحده هو الذي يقعد بهم عن مجازاة الأمم الحية وإلا فإننا نرى أضعف منهم بما لا يقاس يهتسون لمثل هذه الأمور أكثر منهم على أن كثيراً في رجال همتنا يودون على الأقل لو سكت عنهم قومهم وخصوا من أعمالهم لا عليهم ولا لهم لا تشيط ولا تشيط وهذا سر من أسرار الخطأ العجيب.

في الكلية العثمانية اليوم ٣٠ أستاذاً فيهم العربي والتركي والإفرنجي و ٣٠ موظفاً في أعمالها المختلفة وتقسّم مدة التعليم فيها إلى ثلاثة أقسام القسم الابتدائي ومدته سنتان والقسم الاستعدادي ومدته أربع سنين والقسم العلمي ومدته أربع سنين أيضاً وفيها قسم للصغار من سن الخامسة إلى العاشرة يبلغ عددهم ٣ طفالاً تقوم على تربيتهم معنّة مسيحية ومربية (قهرمانّة) أخرى تنام معهم وتعنى بشؤونهم كما تعنى الأم بشؤون أطفالها.

ينال المتخرجون من هذه الديار شهادة تعادل شهادة البكوريا في المدارس الأخرى العالية وأهم ما يتعلم فيها من المعارف والعلوم واللغات وتعليم النافع من الآداب الدينية العالية وإعداد أذهان المعلمين إلى قبول النور الجديد ممزوجاً بالنور القديم وتخريجهم في مضمار الارتقاء.

وفي بيروت مدرسة ثانية ناجحة نشأت منذ ثلاث سنين لهنة رجل هندي محمد عبد الجبار أفندي خيرى وهو رجل درس في كلية عليكر الإسلامية ثم جاء بيروت وتخرج في كلية الأميركان حتى أحزر هو وشقيقه محمد عبد الستار أفندي خيرى شهادة معنم في العلوم فحدثتهما نفسيهما أن يخرجا هذه البلاد خصوصاً بعد أن درسا أحوال مرسلي الأميركان واطنعا على مقاصدهم وقام في ذهنهما أن يشرّا بالإسلام كما يشر أولئك بالصرانية فأنشأ هذه المدرسة بمعاوضة فترة فاضلة من شبان بيروت وتجارها فقاما بعملهما وإنكار النفس مبدأهما والغيرة الدينية دافعتهما وقد تشبعا بتعاليم الغربيين ولاسيما المكمونيين وعرفا بالخبر والخبر كيف تنجح الأعمال وتنضج وأي الأساليب أولى بالإتباع في التعليم.

يدهش المرء من تقلد هذين الأستاذين ومن تقشفهما وعبرهما واستارة عقولهما وتوقد
الذهن والغيرة في نفسيهما ويعجب أكثر إذا رأى الرئيس أحدهما يرحل في السنة الماضية
إلى أوروبا يدرس في فرنسا وإيطاليا وسويسرا وألمانيا وإنجلترا طرق التعليم في مدارسها
وكلياتها ويؤوب إلى هذا الثغر المسعود بخدمة المهاجرين إليه يطبق فيه على الطريقة
الإسلامية ما يلائمنا من أوضاع الغرب.

لا أعلم مدرسة إسلامية في سورية تعلم صغار الطلبة المبادئ العننية بالعمل مثل دار
العلوم فطريقتها في تعليمهم طريقة السكونيين في حدائق الأطفال (كندر جاردن)
ترك التلميذ يختار له بقعة من حديقة المدرسة يحرثها ويزرعها ويسقيها بنفسه وينظر
فيما يلائم مغروساته ومستنباته ثم يعلم مبادئ الجغرافيا والطبيعات والرياضيات
بالعمل دون النظر ومنه يتطرق إلى النظريات.

كان يلفتنا من نجاح صغار الأولاد في القديم والحديث أمور كثيرة وما نحن رأينا اليوم
صورة من صور الارتقاء المهم في تثقيف عقول الأطفال بحيث لا نغالي إذا قلنا أن صغار
أبناء دار العلوم يعرفون من مبادئ الأشياء وحوادث الكون الصحيحة ما لا يعرف
بمثله من الصحة والمكانة شيوخ هذا الزمان. والاستظهار لا حظ له في هذه الدار كما
له في الكلية العثمانية وطريقة هذه أقرب إلى النواحي الإفريقية وطريقة تلك إلى الطرق
الإنكليزية السكونية.

لم نر في دار العلوم أسماء الخطط الكثيرة والمواد المتنوعة التي تورث في برامج التدريس من
قيل الإعلان عن المدرسة وتنوع فنونها عادة بل وجدنا فيها العمل أكثر من القول
والتأني رائد العمل والإخلاص لحنته وسداه رأينا فيها القليل رأينا فيها القليل المنقن
والقليل من المسائل مع النظر البليغ فيها أفضل من حشو ذهن بالمواد النظرية ولو

اقتصرت من تعليم اللغات على العربية والتركية والإنكليزية أو الإفرنسية فيها لانطبقت عليها هذه النظرية كل الانطباق وذلك لأن اللغة العربية لغة البلاد والدين والتركية لغة السياسة والدولة ولغة واحدة من لغات أوروبا تكفي فيما نحب اللهم إذا جعل تعليم أكثر من لغة اختياراً وإلا فالعسر يضيق عن درس اللغات وإتقانها واللغات آلة لا غاية. مدرسة دار العنوم الخارجية والسعي لها متواصل لا يتباعد أرض لها واسعة تقام عليها بناية المدرسة ومما أعجبنى فيها فتاتان مملتان تتعلمان بجانب الفتيان ومما رأيت من نجاحهما ذكرت طريقة الأميركان في التربية المشتركة فعسى أن تكون الفتاتان مقدمة لهذه الطريقة التي ثبت غناؤها في ديار الغرب فيذكرنا بما كان من دروس المحدثات والقارئات في عصور ارتقاء المسلمين في المساجد والجمامع وإننا لنترجو أن يزيد عدد طالباتها بمرور الزمن وعددهم الآن ١٧٠ طالباً يتخرجون على أدب النفس وأدب الدرس.

ربما يتبادر للنهن شيء من قصور معنى الكنية الإسلامية وليس أحسن في الجواب على ذلك من نقل ما تقوله هذه الدار عن نفسها في بيانها السنوي سنة ١٢٢٣ - ١٩١١ قالت:

نعني بالكنية العثمانية الإسلامية معهداً عنياً راقياً يدرس جميع العنوم والفنون التي تحول

المخرج منه أن يكون حاصلاً على شهادة البكنوريا - أن يكون رجلاً تام الأدوات علماً وأدباً - وأن يكون ذلك الرجل الذي تحتاجه هذه البلاد بعلم راسخ وحقائق راهنة متزوداً بحسن الخلق بعري الوطنية متمسكاً بسلاح العلم والمعرفة.

هذه غاية العمدة. وهذه هي الإصلاحات التي أدخلت إلى المدرسة

(١) إصلاح التدريس الابتدائي وجعله سنتين مفردتين عن التدريس الاستعدادي والعلمي - ثم إتباع طريقة المشاهدة والحس في التعليم فيه - وتقوية مفكرة الشباب وتعويده على الاستنتاج - وأن يكون أغلب العنيم في هذا القسم باللغة العربية كما سيظهره بروجرام التدريس المفصل.

(٢) يجب أن يرقى التعليم الاستعدادي وأن تفصل إدارته ثم أن ينظر في الكتب التدريسية وخصوصاً العربية وأن تتبع لأساتذة الطرق الحديثة في التربية والتعليم - وقد سافر الأستاذ الرئيس إلى مصر وزار معظم مدارسها الميرية والأهلية من ابتدائية وثانوية وعالية وشاهد طرقهم في التعليم وبحث في الكتب المدرسية في اللغة والفنون واستمع معاً كتباً جيدة تفي بالحاجة وتقوم بالمطلوب.

(٣) الممي الحثيث في أن يكون تدريس العلوم باللغة العربية مستعملة لذلك الكتب المؤلفة أما الموضوعات التي يؤلف فيها حتى الآن فإن الكلية ستقوم بها وتستعمل الأساتذة طريقة إلقاء المحاضرات وطبعها في مطابع جلائية تسهلاً للتلامذة وحفظاً لتلك المحاضرات.

(٤) أوقات التعليم لا تزيد عن خمس ساعات يومياً مع زيادة الاعتناء في الرياضة البدنية والحركات الجبازية التي تدرس تدريساً خاصاً.

(٥) تعين الكلية قهرمانة للاعتناء بالتلامذة الصغار في القسم الابتدائي وملاحظة ثيابهم ونظافتهم.

(٦) العلوم والفنون والموضوعات التي زيدت: الفلسفة الأدبية والأخلاق الدينية. المطالعة العربية لعامة الصفوف في الأقسام الثلاثة. تاريخ الآداب العربي. النقد التاريخي.

علم المثلثات. علم الفلك. الفلسفة العقلية. علم الرسم. أصول التجارة والمراسلات فيها وجغرافيتها.

(٧) زيادة أوقات التعليم العني في الكيمياء والطبيعات. وجنب الأدوات اللازمة للفلك.

(٨) يجب أن يكون التدريس والكلام سواء من الأساتذة أو التلاميذ بالعربية الفصحى.

(٩) تخصيص قطعة من الأرض لبعض التجارب النباتية والزراعية.

اللغة العربية: هي الأساسية في الكلية يدرسها التلميذ في كل صف من صفوفها في الاستعدادية والعنية على أن التعليم الابتدائي إن لم يكن كنه فجنه فيها وذلك لأن اللغة العربية هي اللغة الأساسية الأصلية فإذا تمكن الشاب من لغته الأصلية يمكنه أن يشرع بعد ذلك إلى بقية اللغات الأجنبية - فتعين لها الكنية الأوقات اللازمة لإتقان الصرف والنحو وعلوم البلاغة (المعاني البيان البديع) واللغة والعروض وقرض الشعر والإنشاء والعريب بحيث يتخرج الشاب ضليعاً في لغته عربي الأسلوب فصيح البيان كتابة وخطابة. والكنية تشط هم الأساتذة على نقل العلوم الحديثة إلى العربية لتدريسها فيها لأن بذلك خدمة اللغة والأمة العربية.

اللغة التركية - تبذل الكلية العثمانية جل جهدها لأن يكون ابن العثمانية متقناً لغة دولته الرسمية قراءة وكتابة وإنشاء وهي تخصص لها في الدائرتين الاستعدادية والعنية الأوقات اللازمة لإتقان فروعها من مكالمات ومفردات وصرف ونحو وبلاغة وإنشاء وأدبيات وترجمة.

اللغة الإفرنسية - هي اللغة الأجنبية التي اختارها عمدة الكنية لتدريسها درساً متقناً والاعتناء بتعليمها اعتناءً تاماً ليطلع التلميذ على كنه أسرارها وحتى يمكنه التبحر في مختلف الفنون الحديثة والعنوم العصرية.

أما مواد تعليم هذه اللغة فهي الصرف والنحو والبلاغة والبيان والنقد البياني والإنشاء والمراسلات التجارية. والترجمة وتاريخ علم الأدب الإفرنسي.

إن ما سبق ذكره من اللغات هي إجبارية في المدرسة واللغة الاختيارية هي الإنكليزية أو الألمانية فتعلم منها الصرف والنحو والترجمة والإنشاء والمراسلات.

وعنوم الكنية (١) العنوم الدينية. القرآن الشريف. التوحيد. الفقه. عملاً وعلماً من عبادات وفرائض ومعاملات (مجلة الأحكام الشرعية) وعلم أصول الفقه. والفلسفة الأدبية من القرآن الكريم والحديث الشريف.

(٢) التاريخ من قديم وأجيال متوسطة وحديث وحاضر. والسيرة النبوية. وتاريخ العرب.

(٣) الجغرافيا. الرسم الجغرافي. الجغرافيا التجارية. والجغرافيا الاقتصادية سيما كل ما يتعلق بالمنكة العثمانية والدول الشرقية.

(٤) الرياضيات. الحساب. الجبر. الهندسة. علم الفن. المثلثات. مسنن الدفاتر.

(٥) العنوم الطبيعية من مواليد ثلاثة (حيوان نبات جهاد) علم خواص الطبيعة. الكيمياء. حفظ الصحة.

(٦) الرسم. حسن الخط. الموسيقى.

(٧) المنطق. الفلسفة. الاقتصاد السياسي. علم الأخلاق.

(٨) تاريخ الأدب العربي. خطب في روح الاجتماع والعنران. فن الخطابة والإلقاء.

أما دار العنوم فنُها الآن أربع مدارس: (١) المدرسة التأسيسية (٢) المدرسة الابتدائية (٣) المدرسة الاستعدادية (٤) المدرسة الصيفية.

(١) المدرسة التأسيسية - يراجع الرئيس بشأن هذه المدرسة.

(٢) المدرسة الابتدائية - هذه تؤهل طنتها للمدرسة الاستعدادية.

فهي تعنيهم الدروس الأولية في الموضوعات الآتية: - (١) القرآن الكريم والتعليم الديني (٢) اللغات - العربية والتركية والإنكليزية والإفرنسية مع علم آدابها وفن الخطابة (٣) الرياضيات - الحساب وأشكال هندسية بسيطة (٤) الجغرافيا الوطنية والطبيعة (٥) التاريخ - حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقصص وتاريخ حياة بعض عظماء الرجال والنساء. (٦) علوم عصرية - مبادئ في معرفة المحيط القريب. إشارات في الموضوعات الأساسية من علم الحيوان والنبات وطبقات الأرض والآتربة والمعادن والكيمياء والحكمة الطبيعية والفنك ومنافع أعضاء الإنسان وحفظ الصحة والهيئة الاجتماعية الخ. (٧) الرسم (٨) التمرين العسكري العشاني وألعاب رياضية. وهذه المدرسة تستغرق أربع سنين مدرسية ولغة التعليم فيها هي العربية فقط.

(٣) المدرسة الاستعدادية - يقصد بها هيئة طنتها لدخول المدارس العالية والكنيات في الوطن وفي الخارج فهي تتقن الدروس الابتدائية في الموضوعات المشروعة بها في المدرسة الابتدائية مع زيادة تفصيل ودقة وترتيب وتزيد عليها كماً هو مبين أدناه: (١) التفسير والحديث وعلم الأديان وعلم الأخلاق ومبادئ أساسية من حكمة الإسلام. (٢) دروس أعلى في اللغات وعلم آدابها وممارسة أكثر في الإنشاء والخطابة (٣) مراجعة الحساب ودروس في مبادئ الجبر والهندسة (٤) جغرافيا المنكة العشائية المفصلة والجغرافيا السياسية العامة. (٥) تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام

والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم وتاريخ المئكة العثمانية ومختصر تاريخ أوروبا القديم والحديث. علوم عصرية - حث على إمعان النظر في الطبيعة واخيط القريب وإيضاحات في الموضوعات الأساسية من علم الحيوان والنبات وطبقات الأرض والأتربة والمعادن والكيمياء (٦) والحكمة الطبيعية والفلك ومنافع أعضاء الإنسان وحفظ الصحة والهيئة الاجتماعية البسيطة (٧) الرسم بالألوان (٨) إتقان التمرين والتهديب العسكري العثماني وبالاختصار يربي الطالب من كل الوجود.

وهذه المدرسة تستغرق سنتين مدرسية. أما لغة التعليم فتكون غالباً اللغة العربية إلا في العلوم العصرية وغيرها من الموضوعات التي لم تترق بعد في العربية والتركية.

(٤) المدرسة الصيفية - هذه أنشئت خصوصاً للطلبة المقصرين الذين يرغبون في تعويض ما نقصهم والتخلص من جزاء لتقصيرهم ليرتقوا صفوفاً أعلى وأيضاً للطلبة الذين ليس لهم عند أهلهم أشغال نافعة ويحبون في تقوية أنفسهم لدروس السنة الآتية.

العربية في الكلية

كان المأمول من الكلية السورية الإنجيلية الأميركية أن تكون في مقدمة معاهد التعليم في هذه الديار في العناية بآداب العربية وإحياء مدينة البلاد وإدخال المدنية الحديثة إليها بحيث يأتي من تعليم المدنية العربية ممزوجة بالمدنية الغربية نوع من هذه المدنية النافعة. هكذا بدأت تلك الدار ولكن عندئذ رأوا أن يجعنوا سنين التقدم للغة الإنكليزية بدعوى أن العربية يضيق صدرها عن الإفصاح عن العلوم الحديثة ولا ييسر لها أن تسير مع المتحدثات العصرية جنباً إلى جنب.

وهذا الخلاف هو الذي حمل فقيدي العلم والآداب الدكتورين كرنينوس فانديك ويوحنا ورتبات على مغادرة منابر التدريس في صفوف الكلية وكانا من أعظم علماء

العاملين لأنهما أيقنا أن التعليم بالإنكليزية مؤخر لنشر العلم في هذه البلاد وداع إلى تراجع الكلية على ما هو المشاهد اليوم وإذا قل النافعون النافعون في المخرجين من هذا المعهد العلمي العظيم وانصرفت وجهة نظر المعنيين إلى الاستخدام في مصر والسودان وأميركا فهاجر إليها خيار أبنائنا كانت الكلية معهم أشبه بمحطة توضع فيها البضائع أياماً تنقل إلى قطر آخر فليس لبيروت بل لسورية من هذه الكلية إلا أنها موطن لتعليم أولادنا على الطريقة التي تريدها تلك الكلية ثم الرحلة بهم إلى حيث تروج بضائعهم رحلة أبدية ووقعية.

فإذا كان لهذه الكلية التي ما دخلناها مرة إلا ورأينا فيها مثال العظمة الأميركية وقوة المتحسين الأميركان لبث دعوتهم الدينية ثم المدنية - هذا الامتياز وتلك القوة العلمية والمادية أليست حرية بأن تنفع البلاد التي أسست فيها وعاهدت النفس على خدمتها أكثر مما نفعها: وذلك بعنايتها بتدريس اللغة العربية تدريجاً يحمد أثره ويطيب خبره ومجبره. وهذا لا يكون إلا بانتقاء خيرة الأساتذة لتدريسها كما يختار للإنكليزية على الأقل ونشر الأسفار في العلوم الحديثة والقديمة وإلقاء المحاضرات والخطب على الدوام بالعربية كما تلقى بالإنكليزية.

ربما شق هذا القول على غير المنصفين من تلامذة الكلية وأساتذتها ولا سيما من رأوا نيل شهادة البكنوريا منها هي غاية علم الأولين والآخرين وأن شهادة الطب أو الصيدلة أو التجارة منها هي جماع المعرفة والنجاح العالمي وأن من لم يسعد الحظ بالدخول إلى أبواب الكلية والجنوس على دكات صفوفها يستحيل عليه أن يتعلم تعليماً نافعاً إلى غير ذلك من الدعاوي التي طالما تجنت في أقوال كثرة من المخرجين في الكلية وأفعالهم أو في نفوس من وقفوا أنفسهم على خدمة الكلية بما تريد ليعدوا في جملة معلميها وإن

كانت عمدة الكلية لا تحسب أبناء العرب بل أرقاهم كعباً بمثابة أصغر معلم أميركي فيها مهناً صانعوا أو تنظفوا مع الأمير كان.

ومن الغريب أن بعضهم كان يشكو من سلب إرادة الرؤوس من الرهبان البابويين وفناء إرادتهم في إرادة رؤسائهم فننا رأينا أساتذة العربية في الكلية الأميركية ثبت لنا أن مرسلني البرتسمانت ليسوا أقل سطوة على نفوس مرؤوسهم من أولئك الرهبان وما نظن أن معني العربية متى أيقنوا أن المدرسة محتاجة إليهم أكثر من احتياجهم إليها تعاكسهم في إصلاح طريق تعليم العربية وإحكام منكرتها بالصحف والكتب والخطب والدروس.

ومن الأسف أن تكون الكتب المخطوطة والمطبوعات العربية في مكتبة الكلية أقل من عشر المطبوعات الإنكليزية بل لا تكاد تبلغ إمكاناتها جزءاً من عشرين جزءاً من مكانة الكتب الإفرنجية وإن ما في مكتبة الكلية من قسطن الكتب أدنى إلى أن يكون مكتبة فرد صغيرة منه إلى أن يكون مكتبة جمعية كبرى لها في المصارف المالية نحو أربع مائة ألف ليرة تقاضى عنها السنوي.

نعم إن مكتبة الكلية لا تفي بحاجة مشغل واحد بالعلم فكيف تكفي في سد حاجة مئات المشغلين وكذلك الحال في مجلة الكلية التي تصدرها عمدة المدرسة باللغة الإنكليزية والعربية وتجعل موضوعاتها الإنكليزية أمتع وأوسع والعربية تافهة على الأغلب.

هذه الملاحظة التي نلاحظها على كلية الأميركان نلاحظها أيضاً على كلية القديس يوسف الكاثوليكية في بيروت فإن القوز الفصل للغة الإفرنجية فيها يتضلع منها المتخرجون فيها أكثر من تضلعهم من الآداب العربية وما رأينا نابغة بالإنشاء العربي

مثلاً تخرج عني أساتذتها عني كثرة من يعد القاصون بأعبائها من أسماء المؤلفين والمترجمين والتجار الذين درسوا في الكنية اليسوعية النهم إلا إذا كان ممن لم نعرفهم ولكن ما يشفع لهذه الدار أن عندنا جمعوا لهم مكتبة شرقية منقطة القرين في هذه الديار وسمحوا للنقطعين لتأليف والبحث من قسيسهم المعنيين أن ينشروا ما طاب لهم من الأسفار العربية خصوصاً ما وافق غرضهم الديني وخدم أفكارهم ولو بالواسطة فكان من أثر ذلك أن نشرت المطبعة الكاثوليكية الملاصقة لهذه الكنية الكاثوليكية نحو مئة كتاب عربي وبعضه خلا من المسخ والحذف وإن نشروا في مجلة المشرق عدة رسائل نافعة في جنب ما ينشرونه من المقالات الدينية.

هذا ما نراه في الكنتين العظمتين القديمتين الأميركية والإفرسية ولغة التعليم فيها وما نشأ لها من الآثار وما يرجى لها منها إذا عينا أكثر من الآن بنعة البلاد فعسى أن يحمل من نفوس القائمين عليها اخل المطنوب ويحل محلته من الإخلاص وإرادة الخير حتى يكون في سلبها أبناءنا بتعليمهم لغات الأجانب بعض التعزية في تعليمهم لغة أمهاتهم وآبائهم ليقروا عني بث الفكر المقصود بين أهل جيلهم وقبيلهم.

معامل السيوف

كما تأمل الناظر في الأعمال الكبرى التي قامت بهم الأفراد في هذه البلاد لا يراها تخرج عن القاعدة التي جرت عليها عند أهل الحضارة الحديثة والقديمة فينجح في العادة من تمرنوا سنين على العمل الذي يريدون أن يتحضرأ له وعرفوه بديقه وجنيه وفروعه وأصوله. فالناجح في أرباب المطابع هو الذي سبق له وتعلم في صباه صناعة تصيد الحروف واستعمال الأدوات والكتابة على الحجر. والناجح في زراعته هو الذي يحسن معرفة الحرث والكرث بيده ويحيد البذر والتسميد والتشذيب والعزق والسقي

والتعشيب وأنواع البذار وما يوجد منه وأجناس التربة وما يصنعها وتربية الأشجار والنباتات والقيام على المراشي والناجح بعمل الأقمشة هو الذي ينم إلاماً مهناً بكيفية نجحها وحياتها وضروب الحرير والكتان والغزل والصوف. بل والناجح ففي كل فروع الأعمال الاقتصادية والصناعية والتجارية هو الذي مشى في عمده على سنة الكون فبدأ صغيراً ونمت معارفه بتقدمه في السن فينال من النجاح بقدر جهاده وملاءمة الأحوال له وحالة محطة وأسبابه ورأس ماله المادي والمعنوي.

هذه المقدمة تنطبق كل الانطباق على إلياس أفندي جرجي السيوفي صاحب المعامل المشهورة به للتجارة والفرش في بيروت. كتبت لي زيارتها هذه المرة فرأيت صورة مصغرة من صور الغرب في بلاد الشرق وتمثل لي فضل الذكاء العربي وأنه وإن لم يفق الغربي فليس دون وإن يد أبنائنا صناع في الأعمال لا يفوقها ابن فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا وسويسرا وبنجيكا إلا بأن الإفرنج يرجعون إلى أساليب في العمل تقصنا أو تكاد في أكثر البلاد لا تجد لها أثراً بيتنا وهي ترجع إلى أسباب رئيسية مهنة أولها الصبر على العمل وثانيها تجويد العمل وثالثها القدر اللازم للعمل من المال والمعرفة ورابعها الاقتصاد في الوقت والأيدي العاملة وخامسها تنشيط الآهين والحكومات للصناعات الوطنية وحماية التجارة الداخلية بقوانين تنفذ على الصادر والوارد وسادسها وجود المواد الأولية التي يمكن بها الاستغناء عن البلاد الخارجية في الجملة.

دلت معامل السيوفي أن الشرقي بمفرده أمة وأن الأمة بمجموعها ضعيفة بمعنى أن الشرقي يعمل مفرداً أحسن من عنده مجتمعاً وذلك لفقد التربية المشتركة بين المشاركة يرجعون إليها وتضم عراهم. فلو كان معمل الغزل في دمشق لفرد واحد منذ إنشائه له

خيره وعنيه شره لما اضحل هذا الاضحلال الذي نراه عنده اليوم ولو كانت معامل السيوف في بيروت لشركة لما رأينا فيها هذا النظام والنجاح وبذلك صح لنا إثبات ما قدمناه من أن الشرقي أمة بخفرده والأمة ضعيفة بمجنوعها وأن لا سبيل إلى قيام الأعمال الكبرى في بلادنا وإن نقدر لها النجاح المطلوب إلا إذا اتحدت مناحينا وتعدنا تعيناً وطنياً اقتصادياً واحداً.

وأي دليل عني ذلك أفضل من أن نقول بأن صاحب هذا المعمل بدأ منذ ٢٤ سنة وهو في الثالثة عشرة من عمره لا يملك غير ثمانمائة قرش ومعلومات جزئية في التجارة تعنها في الممارسة ومنها ما أحرزه بقانون الوراثة لأن والده كان يعمل بالحرير وجده دمشقي يجنو السيوف في دمشق إن صح أن تؤثر الوراثة في الميل إلى الصناعة. ولا شك أن هذا الميل ثما فيه مع الزمن وزيارة أوروبا وما فيها من آثار العاملين والمفنيين فكان يتوسع في معننه بحسب سنة النمو التدريجي حتى بلغ اليوم مبلغاً يعد به مفخراً من مفاخر سورية الصناعية ونموذجاً من أنموذجات الذكاء الشرقي الذي يدع ويمجد إذا قيأت له الأسباب وحنته الدواعي عني العمل.

عني هضبة من هضاب بيروت الجنيينة في حي الأشرافية في مكان بعيد عن مركز حركة هذا النفر يطل عني سفوح لبنان وبيروت من جهة وإلى البحر الرومي من أخرى قامت هذه المعامل البديعة في بقعة فسيحة من الأرض تدخنها فتخل نفسك في إحدى معامل الغرب الكبرى وأول ما يبدؤك بعد الدخول من الرتاج ساعتان عن الينين والشنال بجانبها صندوقان معلنان مقسومان إلى بيوت صغيرة وفي كل بيت مقواة كتب عليها اسم أحد العملة وطبع عليها ساعات الغدو والغداء والرواح فتق وصل العامل بعد الفجر وقبل الإشراق في الشتاء مثلاً يضع مقواته في بيتها فلا تلبث أن تكتب عليها

ساعة مجيئه والدقيقة التي جاء فيها بحروف عربية وفي آخر اليوم أو الأسبوع يرجع إليها مدير العمل ومحاسب المتأخر من المتقدم ومحسبون ذلك بموجب نظام خاص لم يجروا فيه عني مثال نظام العمال في سويسرا والبنجيك والنمسا وألمانيا ومن قوانين العننة في هذه الممالك اختار مؤسس العمل أحسن ما يلاءم هذه البلاد وينفع في نجاح عملته ويعود عليه وعليهم بالربح واقتصاد الوقت.

وهذه الساعة من أنفع ما يجب استخدامه في معاملنا ومطبخنا ودواوين أعمالنا وبيوتنا التجارية والمالية ودوانرنا العسكرية والمنكة ليتعلم قوما مراعاة الوقت والتدقيق في حسابهم حتى يبارك لهم بساعات العمل وأيام الحياة ويتعلموا أن التدقيق في المواعيد أحد دعائم التنظيم في فروع الأعمال ومن أهم أساليب النجاح الذي غفل عنه معظم سكان هذه الديار وعدوا من ينظم أوقاته ويدقق في وعوده واستقبال خاصته ومن لهم علاقة به في ساعات محددة متكرراً أو مهوساً.

يبارك العننة في معامل السيوفي في الصيف والشتاء والخريف والربيع عني السواء وينقطعون ساعات وقت الظهر ثم يعاودون العمل إلى قبيل الغروب أو إلى بعده بقليل بحيث لا يتجاوز معدل ساعات العمل في اليوم تسعاً بخلاف عننة أوربا فإنهم يعنون في بعض البلاد كبنجيكاً مثلاً زهاء اثني عشر ساعة ولكن لنحيط وكثرة الأيدي العامة والعادة والإقليم دخلاً كبيراً في هذا الاصطلاح ولو لم تكثر هجرة الميحين بعد الدستور لوجوب الخدمة في الجندية عليهم وجوباً عني إخواتهم المسلمين فانسل معظم من هم في سن العسكرية إلى أميركا أو غيرها من أبناء الطبقة الدنيا خصوصاً لما قل بذلك عدد العننة في معامل السيوفي فليس فيها اليوم في حي الشرفية وداخل المدينة

أكثر من ٢٨٠ عاملاً مع أن الأدوات والأعمال التي اقتناها صاحبنا تشغل ضعفي هذا العدد فيستيدون ويقبلون.

أكثر ما يعمل في هذه المعامل منجورات الدور الخشبية وأنواع الفرش وأثاث البيوت ففيها تعمل كما تعمل في الغرب فتأنيق الأيدي والعيون في تجويدها وتساعدتها الأدوات التي تدار بالفحم الحجري وتبلغ نحو الستين آلة ومنه لقطع الخشب وصقله وحفره وتقويره وتنشيفه فترى في خشب الجوز والزان من واردات الروم - (أناضول) والأكاجو من كوبا وشوح النساء وسنديان أميركا والخشب البياسي من قيلقية (أطنة) تعمل في تلك الأدوات الحجرية وتحركها تلك الحركات والآلات كأنها العجين في يد خبازة أو الملائط بيد البناء الحاذق.

قال لنا صاحب المعمل أن الآلة الكبرى الخرككة في معمله هي بقوة مئة حصان تنفق في النهار ١٣ فرنكاً من الفحم وكانت الآلات التي هي أصغر منها تصرف من قبل أكثر منذ ذلك وهذا يستدل أيضاً أن نفقات المعامل الكبيرة أدنى إلى الاقتصاد وأعمالها أقرب إلى الجودة من مصنوعات المعامل الصغيرة لاسيما والمعامل الكبرى تتجنى فيها قاعدة تقسيم الأعمال فنجد العناية في معامل السيوي مقسومين إلى عدة أقسام قسم الأدوات وله وكيلان وقسم النجارة وله وكيلان وقسم الحفر وله وكيل وقسم البرداخ وله وكيل وفي هذا القسم نحو أربعين ابنة تعمل فيه ولتسجل رسام خاص وكلهم من أبناء العرب ليس بينهم إفرنجي حتى الأدوات قد جعلت في مواضعها بمعرفة صاحب المعمل دون الاستعانة بأحد من غير أبناء وطنه.

تختلف أجرة العامل في اليوم من ستين بارة إلى ستين قرشاً ويحاسب عن أجرته كل يوم سبت من كل أسبوعين في الشتاء ويحاسب في الصيف كل سبت قبل الظهر لئيسر له

الخروج إن أحب إلى الجبل بصرف ليل الأحد و ليل الاثنين فيه للزحمة ويقضي على كل عامل أن يعمل ستة أشهر تحت التجربة. أولاً ثم تحسم من مياومته أجره أسبوعين يعمل في صندوق اخل حتى لا تحدث نفسه بالخروج من العمل كل يوم أو كل أسبوع كما يفعل بعض العسنة في المعامل ويتركون أصحابها معطين.

ومن جهة ما شهدته من النظام داخل العمل قاعة كبرى وموائد يتناول عليها العسنة طعام الظهر وآلة تصفط النشارة عندما توضع فيها وهي من اختراع أحد العمال هنا وتلقي بها إلى مكان بعيد خارج بناية العمل ومن هناك يتاعها أرباب القنامين ومما رأيته خارج العمل من النظام رصف الطريق الموصلة إليه على نفقة صاحب العمل وغرس بعض الأشجار على جانبيها وينبغي طولها نحو كينومترين.

هذا ما رأيته في معامل السيوف من النظام الذي لا أبالغ بأي قلما رأيته في معمل يرأسه شرقي ولذلك بصفق لصاحب لأنه بدأ به صغيراً سنة ١٨٨٨ في مدينة بيروت وكبره سنة ١٩٠٨ في حي الأشرقية على الصورة التي رأيناها اليوم ونفقة عمارته وأرضه وأدواته تساوي خمسة وعشرين ألف ليرة ولكن لا يتيسر لمن معد مئة ألف ليرة أن يقيم مثله بأدواته ونظامه إذا لم تسبق له معرفة كسفرة السيوف ولم يقض سنين مثله في التجارة ويحيط بما حل وقل من أساليب العمل وتجويده فليت كل أعمالنا تجري على هذا المثال من النظام البليغ والنجاح الأكيد.

جنون الاستعمار

إذا قيل أن السياسة لا قلب لها فيقال أن جنون الاستعمار فنون فقد ساق الغرور دولة إيطاليا إلى أن تحرق العهود وقوانين الدول وتبعث إلى طرابلس الغرب وبرقة بمدرعاتها وجيوشها للاستيلاء بدون مسوغ قانوني على بلاد طرابلس وبرقة من يد صاحبها